فراس عزيز ديب

مستقبل المنطقة بين دمار غزة ودمار صورة الكيان المحتل.. سنبقى أسرى الانتظار!

أكثرَ من شهر مر على الحربِ المفتوحة التي تشنها قوات الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة، ومازلنا جميعنا أسرى الانتظار في هذا الحدث، منا من هو أسير انتظار الشاشات يترقب انتصاراً هنا أو عمليةً نوعيةً هناك، تأخذهُ الدموع على الحال التي أصبحت عليها القطاع، ليتساءل بحسرة عندما يرى دبابات الاحتلال تجول في القطاع: ألم تبدأ العملية البرية بعد؟!

منا من هو أسير انتظار الفرح تحديداً أننا جيل تربى على انتظار اللحظة التي تنكسر فيها شوكةَ هذا المحتل، هذا الانكسار لن يأتيَ حكماً عبر مقررات القمم الإقليمية مهما تعددت مسمياتها ولا عبر الشعارات المستهلكة التي يتاجر عبرها البعض الآخر، لكن فيما يبدو فإن بقاءنا في هذا الأسر سيطول لدرجة حتى مجرم الحرب بنيامين نتنياهو تحدث قائلاً: «إن المعارك أخذت وقتاً أكثر من المتوقع»، تصريح يجعلنا نتساءل وسطَ حسرة الانتظار: هل أن هناك من يدفع نتنياهو نحو الاستمرار حتى النهاية مقابل التعهد بتقديم كامل الدعم له، أم إن هناك من يدفع لقتله سياسياً وإيجاد الأرضية المناسبة للتسوية الشاملة؟!

أن تدخلَ في تحليل مستقبل الحرب على غزة فهذا يعني ببساطة أنك ستعيد تكرار نفسك، لأن مستقبل الحرب يسير بالطريقة التي رسمها الأميركي وينفذها الإسرائيلي حرفياً والتي تحدثنا عنها في أكثر من مناسبة، حربَ إبادة جماعية يهدفون منها ألا تتوقف حتى آخر فلسطيني، حرباً لن تكون أشبه بتصفية حسابات مع المقاومة الفلسطينية فحسب لكنها بذات الوقت رادع لكلّ من ينتهج المقاومة طريقاً، هكذا يفكر قادة الحرب ولا يبدو أن هناك ما يبشر باقتراب نهايتها بعد أن دخلت الحرب مرحلة جديدة تتمثل بتصاعد وتيرة الهجوم البري ومحاولة قضم المشافي التي تنتهجها قوات الاحتلال، إما عبر قصف أطرافها بالتدريج وصولاً لتدميرها بالكامل بعد أن تكون قد امتصت رويداً رويداً الغضب الدولي، أو عبرَ السعي للسيطرة على محيط هذه المشافي وبالتالي ضمان هويات الداخلين والخارجين منها، حيث كانت قوات العدو ولا تزال، تدعي أن هذه المشافي مراكز لإطلاق الصواريخ أو مراكز لاستضافة جرحى المقاومة وآخر ما حرر ادعاء الكيان بأن أقبيةَ المشفى الإندونيسي تضم مركز عمليات لقيادات المقاومة الفلسطينية، ذرائع وأكاذيب ينجح العدو بتسويقها وكأنه استبدلَ حرباً برية شاملة للسيطرة على القطاع بحرب السيطرة على المشافي وهي النقاط الوحيدة التي يتردد العدو بقصفها بشكلٍ مباشر بعد أن قصف كل ما يمكن قصفه.

في سياق متصل، تبدو الهُدن المقترحة عبارة عن تقطيع للوقت لا أكثر، تحديداً أن الأهداف التي يُحكى عنها لضمان نجاح الهدن لا تبدو أهدافاً متوازنة بين طرفي الصراع، فالمقاومة الفلسطينية رأت باحتجاز الأسرى إنجازاً يمكن التفاوض عليه مستقبلاً، لكن عن أي مستقبل نتحدث اليوم؟

مع الأسف فإنَّ المبادلة مبنية على فكرة السماح بإدخال مساعدات إنسانية قد لا تكفي حسب وقت إدخالها احتياجات القطاع لساعات حيث إن القطاع يحتاج لدخول أكثر من ٥٠٠ شاحنة يومياً، فكم شاحنة سيدخل خلال ساعات الهدنة؟ نتحدث عن واقع لن تبدل فيه هدن الساعات شيئاً بل ستُظهر المقاومة بمظهر المستجدي الذي دخل مغامرة غير محسوبة، نتحدث عن واقع أعلنت فيه حتى المنظمات الإنسانية كمنظمة الصحة العالمية وغوث اللاجئين اعتذارها عن تقديم أي نوع من المساعدات بعد استشهاد عدد كبير من كوادرها وقرب نفاذ المخازين بعد قيام الكيان بقصف المستودعات في سابقة لم تحدث من قبل، إذن ما فائدة الهدن إن كانت يد الكيان أطلقت حتى النهاية؟ بالتأكيد لسنا ضد الهدن بل نحن مع كل ما يمكنه وقف حمام الدم هذا لكننا هنا لا نتحدث عن وقف للعدوان واعتراف بما اقترفه الكيان، بل نتحدث عن بطولات وهمية تبحث عنها بعض الدول التي تسمي نفسها راعية لمفاوضات الهدنة، لا نتحدث عن فائدة سيجنيها الشعب الفلسطيني بل نتحدث عن الفائدة التي تجنيها أنظمة بعض الدول العربية التي تقدم نفسها وسيطاً في إقرار هذه الهدنة وتقديم الإعلام لها كرقم صعب في نصرة القضية الفلسطينية ويتجاهل هؤلاء بأن سببَ القبول بهم كوسيط في الهدنة أساساً هو تمتعهم بعلاقات دبلوماسية مع الكيان الصهيوني، لكن كل هذا لم يشفع لهم، لأن مجرم الحرب بنيامين نتنياهو ضرب عرض الحائط بالدعوات الأميركية والوساطات العربية وتمرد على قرارات الهدنة المقترحة واعتبر نفسه غير ملزم بها!

في المقابل هناك من يرى أن هذه النظرة التشاؤمية مبالغٌ بها، يرى هؤلاء أن ما جرى ويجري في غزة لا يمكن تقدير تداعياته من خلال عدد الشهداء، فما من معركة تحرير تمر من دون شهداء، ألم تخسر الجزائر مليون شهيد ألم يرتق في سورية خيرة أبنائها دفاعاً عن البلد في وجه قطعان المتأسلمين؟ ما الفرق بين المعركتين؟ وجهة نظر تبدو منطقية إلى حد بعيد، إذ يرى البعض بأن الحرب الدائرة في غزة أعادت القضية الفلسطينية إلى الواجهة، رئيس الوزراء الفرنسي الأسبق دومينيك دوفيليبان وجه قبل أيام رسالة لإسرائيل قال فيها: «القوة والسلاح لا يصنعون الأمان، وحدها العدالة من تصنع هذا الأمان»، دوفيليبان كان يغمز من زاوية أن استمرار الكيان في رفض حل الدولتين بالحد الأدنى، سيعني حكماً تجدد جولات الحرب عاجلاً أم آجلاً، لكن مشكلة هؤلاء المسؤولين الغربيين أنهم لا يتكلمون إلا بعد أن يحملوا صفة «سابق»، ترى ماذا يحمل تاريخ دوفيليبان السياسي من إنجازات على طريق تطبيق قرارات الشرعية الدولية المتعلقة بانسحاب الكيان الصهيوني إلى حدود العام ١٩٦٧؟

بذات الوقت لابدَّ من الاعتراف بأن المعركة نجحت إلى حدٍّ بعيد في إعادة انتاج صورة «دولة إسرائيل» الديمقراطية من وجهة النظر الغربية، مواطن فرنسي قبل أيام وخلال تجمع داعم لوقف الحرب حمل لافتة كتب عليها: «لا يمكن أن تكونوا أحفاداً لمن طالتهم المحارق النازية»، هذا الانقسام دخل حتى البرلمان الفرنسي والإيطالي، هذا الانقسام غير المسبوق كسر حتى فكرة منع التعاطف الشعبي مع غزة لتشهد العاصمة البريطانية والملاعب الإسكتلندية والإسبانية تعاطفاً غير مسبوقٍ من قبل الجماهير.

أما على الصعيد الرسمي فيبدو أن واقع القيادة الديمقراطية في البيت الأبيض خير مثال على ما فعلته هذه الحرب، إذ بدأت تتحسس الخطر الداهم عن الدعم غير المسبوق للكيان الصهيوني، البعض تحدث عن عمل حثيث يجب القيام به وسط الجاليات العربية والمسلمة في الولايات المتحدة لضمان عدم خسارة الأصوات في الانتخابات القادمة، نواب ديمقراطيون طلبوا من الرئيس جو بايدن تشريعاً خاصاً بالفلسطينيين المقيمين في الولايات المتحدة يمنحهم حق الحماية وفرص عمل لتحسين صورة الديمقراطيين، هذه المتغيرات لا يمكن نكرانها أو تجاهلها عندما نعيد تقييم المعركة منذ السابع من شهر تشرين الأول حتى يومنا هذا، لكن السؤال هنا هل أن ما تم تقديمه يعتبر إنجازاً يستحق هذه المغامرة؟! وبمعنى آخر لو أجرينا تقاطعاً بين وجهتي النظر السابقتين، كيف يمكننا الاستثمار بسلبيات هذه الحرب وإيجابياتها؟

مما لاشك فيه بأن المقاومة الفلسطينية افتقدت أكثر ما افتقدته في هذه الحرب إلى الدعم العربي، أغلبية الدول العربية رأت نفسها وسيطاً أو متفرجاً كما هي الحال لبعض الدول الأوروبية، ربما فقد الكثير من الدول القدرة على لعب دور البطولة مع تصاعد المد الشعبي الداعم لغزة وعندما نتحدث عن الدعم الجاد لا نتحدث هنا عن بيانات الإدانة والاستنكار والدعوة لمبادرات الحلول، البحث عن الحل الشامل يبدأ من الاستثمار بهذه الحرب بسلبياتها التي أعطت الكيان صورته الحقيقة، بإيجابياتها التي أعادت للعرب بوصلتهم، عدا عن ذلك فإن الكيان الصهيوني مستمر في المعركة ولن يردعه عنها حتى يرى القطاع أثراً بعد عين، فإلى أي حد يستطيع الغرب تغطية هذه الجرائم؟ الجواب إلى الحد الذي سيستمر فيه العرب بصمتهم، فالغرب جاهز دائماً لتقديم الأضحية وقد يكون التالي بنيامين نتنياهو ولكن المشكلة أن هناك من سيعتبر رحيل نتنياهو، انتصاراً أنجزته الحرب؟! ويبدو بأن قدرنا أن نبقى أسرى الانتظار!

المقاومة العراقية تستهدف قواعد الاحتلال الأميركي في «رميلان وخراب الجير» بسورية و«حرير» شمال العراق

استهدفت المقاومة الإسلامية العراقية، أمس قواعد الاحتلال الأميركي غير الشرعية في «خراب الجير» في ريف القامشلي و«رميلان» بريف الحسكة، و«حرير» شمال العراق، بالطائرات المسيرة والقذائف الصاروخية.

وبحسب موقع قناة «الميادين» أعلنت المقاومة الإسلامية في العراق تبنيها في بيان رسمي أمس، استهداف قاعدة الاحتلال الأميركي في «رميلان» بطائرتين مسيرتين، مشيرة إلى أن «الطائرتين قد أصابتا أهدافهما بشكل مباشر»، وفي وقت سابق من يوم أمس أعلنت «الميادين» أن طائرة مسيرة قصفت قاعدة الاحتلال الأميركي في مطار خراب الجير شمال شرقي الحسكة.

مصدر أمني عراقي قال بحسب وكالة «المعلومة»: «تم استهداف قاعدة خراب الجير الأميركية في ريف القامشلي الشرقي بالقذائف الصاروخية»، وأشار إلى أن «الهجوم استهدف مواقع مهمة ضمن القاعدة».

وفي السياق أفاد المصدر باستهداف قاعدة الاحتلال الأميركي «حرير» شمال العراق، بطائرتين مسيرتين.

ونقلت «المعلومة» عن المصدر قوله: «تم استهداف قاعدة الاحتلال الأميركي «حرير» شمال العراق، بطائرتين مسيرتين»، وأضاف: إن «الطائرتين قد أصابتا أهدافهما بشكل مباشر».

وأول من أمس، أعلنت المقاومة الإسلامية في العراق أن مجاهديها استهدفوا قاعدة الاحتلال الأميركي «التنف» في سورية، بطائرة مسيرة أصابت هدفها بشكل مباشر.

وسبق ذلك أن أكدت المقاومة الإسلامية في العراق استهداف قاعدة الاحتلال الأميركي «عين الأسد» بـ٣ عمليات وبأسلحة مختلفة أصابت أهدافها، وقاعدة «حرير» الأميركية بطائرتين مسيرتين أصابتا أهدافهما بشكل مباشر.

واعترفت وزارة الدفاع الأميركية أن ٥٦ عسكرياً أميركياً أصيبوا جراء نحو ٤٦ هجوماً استهدف القوات الأميركية في الشرق الأوسط منذ ١٧ الشهر الماضي.

وتتواصل عمليات المقاومة العراقية ضد قوات الاحتلال الأميركي في سورية والعراق التحاماً مع معركة «طوفان الأقصى».

وكالات

الجيش وسلاح الجو الروسي يستنزفان إرهابيي «القاعدة» في «خفض التصعيد»

عشرات القتلى والجرحى في صفوف «النصرة» و«أنصار التوحيد» بجبل الزاوية

حلب- خالد زنكلو
حماة- محمد أحمد خبازي

اليوم السادس والثلاثون لعملية «طوفان الأقصى»

المقاومة تستهدف آليات الاحتلال وتخوض اشتباكات عنيفة على عدة محاور

الوطن
www.alwatan.sy
رئيس التحرير: وضاح عبد ربه
مدير التحرير: جانبلات شكاي
المدير الفني: لارا توما
المكتب في المحافظات

شدد على ضرورة أن تبقى العيون على الميدان في جبهة لبنان

نصر الله: لا يوجد أحد يطالب سورية بتقديم أكثر مما تقدمه وهي التي تخرج من حرب كونية

أكد الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله، أن المقاومين في قطاع غزة يبدعون في مواجهة أقوى الفرق العسكرية الصهيونية التي تعجز عن الحديث عن صورة انتصار أو انكسار عند المقاومة الفلسطينية، وأعرب عن اعتقاده أنه لا يوجد أحد يطالب سورية كدولة وشعب بتقديم أكثر مما تقدمه وهي التي تخرج من حرب كونية وتقاتل تنظيم داعش الإرهابي بحماية أميركية، وأنه رغم كل الجراح فيها فهي مازالت في موقعها الصامد والحاضن للمقاومة، موضحاً أن «عمليات المقاومة الإسلامية في العراق تخدم عملية تحرير سورية والعراق من القواعد الأميركية ويجب أن يوظفها العراقيون والسوريون لأجل ذلك لكن الحيثية التي انطلقت منها هي نصرة غزة.

وخلال احتفال يوم الشهيد الذي نظمه حزب الله في الضاحية الجنوبية لبيروت والمناطق اللبنانية قال نصر الله حسبما ذكرت قناة «المنار»: إن «العدوان على غزة سبّب تبدل الرأي العام العالمي وكشف الزيف الإسرائيلي، وهذا التبدل يخدم أهل غزة ومشروع المقاومة والأهم هي التظاهرات التي تحصل في واشنطن ولندن وباريس والدول الأوروبية لأنها تضغط على حكوماتها، مؤكداً أن من يدير هذا العدوان هو من يستطيع وقفه وهي الإدارة الأميركية.

واعتبر أن العالم والشعب الفلسطيني بالخصوص يتطلعون للقمة العربية الإسلامية بغض النظر عن نتائجها، ويطالبونهم بوقف الحرب.

وتساءل نصر الله: «ألا تستطيع ٥٧ دولة عربية وإسلامية أن تفتح المعبر على غزة لإدخال المساعدات والدواء والماء والوقود وتستنقذ الجرحى؟».

وأضاف: «المقاومون في غزة يبدعون في مواجهة أقوى الفرق العسكرية الصهيونية التي تعجز عن الحديث عن صورة انتصار أو انكسار عند المقاومة الفلسطينية».

وحول التدخل اليمني قال نصر الله: «اليمن اتخذت قيادتها وشعبها موقفاً شجاعاً وجريئاً ورسمياً وعلناً وأرسلوا صواريخ ومسيّرات إلى فلسطين وقد كان لذلك آثار مهمة حتى لو افترضنا أن الصواريخ والمسيرات لم تصل والعدو الإسرائيلي يتكتم على ذلك».

وأضاف، إن عمليات المقاومة الإسلامية في العراق تخدم عملية تحرير العراق وسورية من القواعد الأميركية ويجب أن يوظفها العراقيون والسوريون لأجل ذلك لكن الحيثية التي انطلقت منها هي نصرة غزة.

وقال نصر الله: إن «الأميركيين هم يضغطون على الإخوة في العراق وهم يضغطون علينا في لبنان، والسفيرة الأميركية في لبنان إما كاذبة وإما جاهلة والأميركيون لم يتركوا قناة أجنبية أو غير أجنبية أو لبنانية إلا وأرسلوا عبرها التهديدات».

وتابع: «لا أظن أن هناك أحداً يطالب سورية كدولة وشعب بتقديم أكثر مما تقدمه وهي التي تخرج من حرب كونية وتقاتل داعش بحماية أميركية، ورغم كل الجراح في سورية فهي مازالت في موقعها الصامد والحاضن للمقاومة».

وأضاف: إن «الطائرة المسيرة التي وصلت إلى إيلات قبل أيام سجلت إنجازاً كبيراً، والعدو وقع في حالة من الضياع في تحديد المصدر فقام بقصف إحدى تشكيلاتنا في سورية وارتقى لنا عدد من الشهداء».

وحول الموقف الإيراني قال نصر الله: «موقف إيران الراسخ والداعم سياسياً ومادياً وعسكرياً للمقاومة الفلسطينية لم يعد خفياً على أحد وهو معروف للجميع، وإذا كان هناك قوة من مقاومة للبنان وفلسطين والمنطقة فالدعم العسكري والمالي بالدرجة الأولى هو من إيران».

وحول جبهة لبنان أكد نصر الله أن «العمليات مستمرة منذ ٨ تشرين الأول وحتى اليوم، ورغم كل الإجراءات الوقائية استمرت عمليات المقاومة (حزب الله) في الجبهة ورغم الحضور الدائم للمسيّرات الإسرائيلية المسلحة التي شكلت عاملاً جديداً في المواجهة، وأي خطوة إلى الأمام في جبهة لبنان هي بمثابة عمل استشهادي، وهذا يعبّر من خلال حجم العمليات اليومية عن مدى شجاعة وصلابة المجاهدين الاستشهاديين».

ولفت إلى أنه في الأيام الماضية شهد لبنان موجة جديدة من التهديدات الإسرائيلي باتجاهه بسبب الارتقاء الكمي والنوعي في هذه الجبهة، مؤكداً أن المسار العام في جبهة جنوب لبنان مستمر وستبقى جبهة ضاغطة، مشيداً «بالمجاهدين الأبطال والبيئة الحاضنة التي تتحمل المواجهة في الجبهة اللبنانية وعبء التهجير والخسائر المادية».

وقال نصر الله إن: «الموقف السياسي والشعبي اللبناني العام موقف داعم ومشكور ويجعل من هذه الجبهة فاعلة ومؤثرة ولا أريد التعليق على المواقف الشاذة».

واعتبر أن «المعركة اليوم مختلفة وقال: «لست أنا من يعلن عن الخطوات، فسياستنا في المعركة الحالية هي أن الميدان هو الذي يفعل وهو الذي يتكلم، وفي جبهة لبنان يجب أن تبقى العيون على الميدان وليس على الكلمات».

وأضاف: «نحن في معركة الصمود والصبر وتراكم الإنجازات وجمع النقاط ومعركة الوقت الذي هو حاجة للمقاومة وشعوبها ويساعد في إلحاق الهزيمة بالطغاة»، مؤكداً أن «كل العوامل داخل الكيان وخارجه ستضغط على قيادته، والضغط يجب أن يتواصل والصبر والصمود يجب أن يتواصل».

وختم نصر الله كلمته بالقول: «نحن نتطلع إلى أفق تنتصر فيه فلسطين ويفشل فيه العدو عن تحقيق أي هدف من أهدافه».

وكالات

الأمين العام لحزب الله حسن نصر خلال احتفال يوم الشهيد الذي نظمه حزب الله في الضاحية الجنوبية لبيروت (عن الانترنت)

حزب الله يستهدف مواقع إسرائيلية وقوة مشاة محققاً إصابات مباشرة فيها

واصلت المقاومة الإسلامية في لبنان «حزب الله» استهداف مواقع العدو الصهيوني عند الحدود الجنوبية مع فلسطين المحتلة، دعماً للشعب الفلسطيني الصامد في قطاع غزة وتأييداً لمقاومته الباسلة والشريفة.

وحسب موقع «الميادين» أكد حزب الله في بيان استهداف مجاهديه تجمعات لقوات الاحتلال بالإضافة إلى استهداف عدة مواقع وملالة وإيقاع إصابات مباشرة.

وأعلنت المقاومة استهداف مجاهديها تجمعات لقوات الاحتلال، في وادي شوميرا وتل شعر وبادِيد (قرية طربيخا اللبنانية المحتلة وجوارها)، بالأسلحة المناسبة وحققوا فيها إصابات مباشرة.

وأضاف البيان: إن هذه العملية التي تمت عند الساعة ١٤:٠٠ من بعد ظهر أمس، تأتي دعماً للشعب الفلسطيني الصامد في قطاع غزة، وتأييداً لمقاومته الباسلة والشريفة.

كذلك أعلنت المقاومة الإسلامية أن مجاهديها استهدفوا ملالة، وقوة مشاة صهيونية، في موقع المطلة بالصواريخ الموجهة وحققوا فيها إصابات مباشرة.

وفي وقت سابق أمس، أعلنت أفواج المقاومة اللبنانية «أمل»، ارتقاء الشهيد المجاهد علي داوود، من بلدة مليخ في جبل الريحان، بعد تنفيذه لمهمة مع مجموعة تابعة للحركة استهدفت ثكنة «راميم» بالأسلحة المناسبة.

كما استهدفت المقاومة الإسلامية في لبنان عدداً من المواقع الإسرائيلية شمال فلسطين المحتلة، بالتزامن مع كلمة الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله.

واستهدفت المقاومة موقع المالكية الإسرائيلي، مقابل بلدة عيترون اللبنانية، لافتاً إلى تصاعد الدخان منه، كما أفاد باستهداف المقاومة موقع الرادار الإسرائيلي.

فيما قصفت قوات الاحتلال الإسرائيلي بالمدفعية أطراف بلدات كفرشوبا وسهل الماري وعيترون، واستهدفت بغارة من طائرة مسيرة إسرائيلية أطراف بلدة ميس الجبل.

وكانت المقاومة قد أعلنت ظهر أمس مهاجمة ثكنة «راميم» الإسرائيلية عند الحدود اللبنانية – الفلسطينية المحتلة، بالأسلحة الصاروخية، محققة إصابات مؤكدة فيها، فيما أكدت استهداف قوة مشاة مؤلّلة في تلة الكرنتينا في منطقة حدب يارون، وموقع حدب البستان، وموقع الجرداح بالأسلحة الصاروخية، والمدفعية وتحقيق إصابات مباشرة.

بدورها تحدثت وسائل إعلام إسرائيلية عن اختراق طائرتين مسيرتين أجواء الأراضي الفلسطينية المحتلة، فيما تصاعد الدخان من ثكنة «أفيفيم».

بالتزامن مع ذلك، أعلنت وسائل إعلام إسرائيلية إصابة مبنى في مستوطن «كريات شمونة» بشكل مباشر، مؤكدة أنه تم الطلب من المستوطنين هناك الدخول إلى الملاجئ حتى إشعار آخر.

وتحدث الإعلام الإسرائيلي عن اختراق طائرتين مسيرتين الأجواء من الأراضي اللبنانية.

وحسب الإعلام الإسرائيلي، دوّت صفارات الإنذار في الجليل وحرمون بعد الاشتباه في تسلل طائرات مجهولة، مضيفةً إن هناك حدثاً مركّباً في الشمال تخلله قصف هاون وكاتيوشا واختراق طائرة معادية، وأضافت: في أعقاب اختراق طائرة مسيرة، هاجم الجيش الإسرائيلي جنوب لبنان.

وفي وقت سابق، نشرت وسائل إعلام إسرائيلية معلومات عن إصابة ٣ جنود من «الجيش» الإسرائيلي حالتهم خطرة بعد إصابتهم أمس على الحدود مع لبنان.

وتواصل المقاومة الإسلامية في لبنان استهداف المواقع الإسرائيلية على طول الحدود اللبنانية– الفلسطينية، رداً على استمرار العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، واعتداءات الاحتلال المستمرة على القرى اللبنانية الجنوبية منذ أكثر من شهر.

وكالات

الاحتلال واصل لليوم الـ٣٦ جرائم الإبادة وقصف المنازل والمستشفيات والنازحين

عشرات جثامين الشهداء ملقاة في ساحة مجمع الشفاء ومحيطه في غزة

فلسطينيون يزيلون جثة طفل استشهد في قصف إسرائيلي على رفح بجنوب قطاع غزة (أ ف ب)

قولاً واحداً

السفير ميشيل رامبو

«فلسطين: سيقولون لم نكن نعرف»

صديقي القارئ، لاحظتم في هذا الخريف المشؤوم تدفق الدعاية الحربية المضللة في «ديمقراطيتنا الكبيرة»، فأصبحت المحطات التلفزيونية ومقالات الصحف الكبرى مثل مفترق الطرق، وبات من الممكن أن يخفي النقاش حول الحرب بين إسرائيل وحماس نقاشاً آخر بين حماس وإسرائيل، وتفرض محاكم التفتيش المهووسة خصمين اثنين، يحظى الأول بالشرعية الكاملة وتنصب اللعنات على الثاني، و«يُنصح» بتفضيل الأول منذ بداية الحديث.

سُيفضل البعض عدم ذكر اسم الشيطان لكي يتجنبوا المتاعب، وأغلبهم متواطئ مهما كان اسم المحطة أو الوسيلة الإعلامية، ولا يهم تفاهة هذا الكلام الفارغ، لأن الهدف ليس إيصال المعلومة بل تأييد معتقدات مختزلة وصياغة آراء الغنم في «القطيع الغربي»، الأمر الذي لا يُبشر بالخير إطلاقاً حول الحفاظ على الحريات الأساسية في بلد الأنوار أو احترام حقوق الإنسان والمواطن في البلد الذي يدعي أنه وطنها.

إذاً، هذه المعتقدات تختزل النزاعات بصراع بين الخير والشر، بين «الغرب الجماعي» معقل الحضارات، وبقية العالم «الغابة» التي يحكمها الشرير الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والخبيث الصيني شي جين بينغ اللذان يجذبان المتوحشين في «الجنوب الشامل» في آسيا وإفريقيا وأميركا اللاتينية، وهكذا يجب على الرواة مواجهة تحدي الدفاع عن قضية خاسرة وإيضاحها: إن أولئك الذين امتلكوا التاريخ ويقررون ما هو القانون منذ خمسة قرون، يمثلون عشر سكان العالم، يواجهون تسعة الأعشار الباقية في العالم الذين لم يعودوا يتحملون غرور الدول الغربية أتباعها، ويقفز قادة المعسكر الذي يتراجع من حرب إلى أخرى، من الحرب ضد فيروس كورونا المستجد إلى الحرب في أوكرانيا واليوم الحرب في غزة ضد الفلسطينيين والعرب، وغداً في بحر الصين أو في شواطئ تايوان.

حماس– إسرائيل أو إسرائيل– حماس! من الواضح تماماً أن هذه التسمية أو تلك، تم فرضها كجزء من اللغة المهيمنة التي تسمح بتصنيف الأطراف المتنافسة وتحديد ترتيبها على سلم القيم. تحتل إسرائيل مركز اهتمامات محور الخير الغربي، أنها دولة «أخلاقية» بالتعريف وتدافع عن نفسها ويقع على عاتقها مهمة الدفاع عن العالم المتحضر وقيمه وقواعده في الخير والحرية وحقوق الإنسان، أي إنها تمثل «الناس مثلنا» كما يقول البعض.

المحتلون وجنودهم وشرطتهم والمستوطنون المتطرفون وميليشيات الأبارتيد، هم حماة السلام، متوحشون قليلاً، لكن ما العمل في مواجهة «حيوانات بشرية»؟!

تكشف هذه الدولة التي تمثلنا عن مزاياها في مواجهة حماس الموصوفة بأنها «مجموعة إرهابية» ارتكبت اعتداء غير مبرر وتجسّد الشر المطلق والوحشية. لكن مقاطع الفيديو على الإنترنت أظهرت مشاهد الرعب أثناء القصف والتدمير والمجازر ولاسيما ضد الأطفال، هذه هي الحياة اليومية في غزة منذ شهر واحد، لكنها من المحرمات داخل معسكر الخير الذي يُخفي أيضاً مصير ثلاثة ملايين فلسطيني في الضفة الغربية والقدس الذين يتعرضون لأعمال الترهيب ومصادرة ممتلكاتهم والإزعاج بشكل يومي.

إذا كان من الملائم التعاطف مع جميع الضحايا المدنيين، فإن ذلك لا يعني تجاهل حق الفلسطينيين بالمقاومة ضد الاحتلال والقمع، وهو حق مشروع بموجب القانون الدولي بعد عام ١٩٤٥ بغض النظر عن شكل هذه المقاومة، لأن «المجتمع الدولي» مسؤول عن هذا الوضع الذي وافق عليه. بدأت بعض المؤسسات مثل «معهد الدقة العامة» بالإعراب عن قلقها بعد ستة وخمسين عاماً من الاحتلال والانتهاكات الواضحة للقانون الدولي، و«أن تصل متأخراً خير من ألا تصل أبداً»، ومن المفترض أن تعلن المحكمة الجنائية الدولية في شهر شباط ٢٠٢٤ عن موقفها حول الصفة القانونية أو غير القانونية لهذا الاحتلال.

بالنسبة لأولئك الذين بدؤوا إعادة كتابة التاريخ، فإن تاريخ فلسطين الشهيدة لم يبدأ بتاريخ ٧ تشرين الأول ٢٠٢٣، ومن النادر جداً العثور لدى صحفيينا على مجرد ذاكرة بسيطة تضع الحرب في غزة في السياق المأساوي لتاريخ فلسطين منذ وعد بلفور عام ١٩١٧. لم يحظ المشروع الصهيوني بالشعبية لدى يهود أوروبا في ذلك الوقت، وهو مشروع استعماري رعاه البريطانيون الذين يريدون إنشاء «دولة عازلة» يسكنها مستوطنون جاؤوا من جميع أنحاء العالم من أجل خدمة مصالح العرش البريطاني ونشر الفوضى في الشرق الأوسط.

بلغت الجرائم التي ارتكبها الأوروبيون ضد اليهود ذروتها خلال المحرقة الرهيبة، الأمر الذي شجع صعود التيار المؤيد لإنشاء وطن قومي لليهود في إفريقيا أو أميركا الجنوبية أو فلسطين. واتضح مصير فلسطين عام ١٩٤٧ بعد فترة قصيرة من تأسيس الأمم المتحدة من خلال خطة التقسيم، وإذا كانت هذه الخطة تكفيراً عن ذنوب الأوروبيين، فإنها تجاهلت حقوق العرب السكان الأصليين وجردتهم من أكثر من نصف أرضهم التاريخية، ويتجاهل المؤرخون والمحللون هذه السرقة التي كان العرب ضحيتها، تم التصويت على خطة التقسيم تحت ضغط الأميركيين، وأعطت الشرعية للدولة الجديدة، لكنها لا تلغي أبداً شرعية الحقوق الفلسطينية.

تكفي بعض الأرقام لوصف مسار دولة خارجة عن القانون، مبنية على أساس الإفلات الكامل من العقاب بضمانة أميركية، فقد انتهكت إسرائيل ٢٢٦ قراراً أصدرهم مجلس الأمن بين عامي ١٩٤٨ و٢٠١٦، يُضاف إليها واحد وعشرون قراراً خلال السنوات السبع الماضية.

خرجت فلسطين من دائرة الاهتمامات منذ اتفاق أوسلو المخادع، وخسرت «مركزيتها» لدى العرب، لكنها لم تفقد أهميتها في الهواجس الصهيونية، فشنت إسرائيل أربعة عشر هجوماً بين عامي ٢٠٠٢ و٢٠٢٣ بأسماء مختلفة على الطريقة الأميركية.

فشل الحل القائم على أساس دولتين، نظراً لأن هذا الاحتمال لم يكن إلا خدعة للعرب، وتبخرت المسألة الفلسطينية، وتمكن قادة الدولة الصهيونية من تهميش أو حتى القضاء على الوجود الفلسطيني في فلسطين عبر تحويل دولة إسرائيل إلى دولة لليهود، وقاموا بتسريع بناء نظام فصل عنصري شامل ضد العرب مثلما حصل في جنوب إفريقيا وروديسيا سابقاً.

في الوقت الذي يتظاهر فيه العالم بالتساؤل حول العنف المتجذر في هذه الأرض المقدسة ثلاث مرات، من الجدير بالذكر أن سورية– فلسطين تقع في محور مواجهة عنيفة ناجمة عن التغيرات الجيوسياسية العالمية: أصبحت هيمنة «الغرب الجماعي» من مخلفات الماضي، وأخذت مكانه ثلاث دول– حضارات هي: روسيا والصين وإيران، وجرّت وراءها «الجنوب الشامل» الذي أغراه النموذج المتعدد الأقطاب طور التشكل حاليا، وتحتل سورية مكاناً جيداً في المعسكر المنتصر الجديد، ومن الممكن التساؤل عن المكان المخصص لفلسطين أي «سورية الجنوبية»، بصفتها جزءاً طبيعياً من سورية التاريخية.

كان الهجوم الفلسطيني على غزة بتاريخ ٧ تشرين الأول بمنزلة المفاجأة المذهلة، وخلط أوراق الملف بشكل كبير مدمراً أسطورة إسرائيل التي لا تُقهر، وأعاد هذا الهجوم إلى القضية الفلسطينية مركزيتها، وأعاد الابتسامة إلى الكثير من الفلسطينيين والعرب مهما كانت مواقفهم من المهاجمين، وتم وصف «المقاومة» بـ«الإرهاب»، هذا أمر طبيعي مثلما قال الرئيس الفرنسي الأسبق شارل ديغول في مؤتمره الصحفي الشهير في شهر تشرين الثاني ١٩٦٧.

سمعنا المتطرفين في إسرائيل يتحدثون عن إبادة جميع سكان غزة، نظراً لأن مسؤوليها يتفاخرون بذلك وبدؤوا بالتنفيذ: إبادة أم «تطهير عرقي»؟ يندرج الوضع الحالي في غزة في سياق السياسة التي تبناها الصهاينة منذ عام ١٩٤٨ والمتمثلة بإزالة أي آثر لفلسطين والفلسطينيين في مكان إقامتهم، وتميل الكراهية نحو الإبادة التي تعتمد على جرائم الحرب و/ أو الجرائم ضد الإنسانية بشكل يدخل في نطاق عمل المحكمة الجنائية الدولية التي أكدت في تقرير أولي في شهر شباط ٢٠٢١ صلاحيتها الجغرافية على جميع أراضي فلسطين على الرغم من أن إسرائيل لم توقع على معاهدة روما، ويستخدم الغرب مصطلح «الإبادة» أكثر فأكثر.

يواجه الفلسطينيون مثل بقية شعوب المنطقة المعضلة التالية: الموت البطيء على آمل استيقاظ ضمير الجلاد، أو الموت في المعركة لتغيير المصير، وكيف يمكن السكوت والبقاء جامدين تجاه غرور الذين يدعمون هذه الإبادة أمام أعيننا؟ لأن الحكومات الغربية التي تحب إعطاء الدروس وتدعم الجرائم والتعذيب ضد العرب توفر دعماً أعمى لرتكبي الإبادة، وباسمنا.

كيف يمكن الحديث بجدية عن حل قائم على أساس دولتين في الوقت الذي تحول فيه الطرف الفلسطيني إلى قصاصات وورق ممزقة، والقادة الإسرائيليون يشبهون المجانين الغاضبين، والحقد ينتشر في المنطقة بأسرها؟ يتحمل الغرب هذه المسؤولية، لكن الرياح تهب، يتعالى الغضب في مدنه الكبرى مع اتساع المظاهرات المؤيدة لفلسطين، فخرجت مظاهرات حاشدة في باريس يوم السبت ٤ تشرين الثاني ضد «إبادة الفلسطينيين»، ألا نشعر بنفحة أمل عندما تتعالى الأصوات بانتماءاتها المختلفة لكي تدعو إلى السلام والعقل والعدالة والإنسانية والتفكير.

على أي حال، نحن لا نستطيع السكوت أمام أطفالنا وأحفادنا، سيقول الكثيرون عندما تهب الرياح: «لم نكن نعلم». ربما سنصدقهم، لكن نظرات قابيل ستلاحقهم على فراش الموت أو في القبر.

نقلا عن موقع مجلة «إفريقيا- آسيا» الإلكتروني